

من لم يصعد إلى الفضاء لم ير العالم من منظور حقيقي، ولم يكن أهم ثمار رحلات الفضاء ألا وهي الحكمة العميقة لقد جاء العام 1986 ليغير الرؤية المعتادة للعالم كله تجاه رحلات الفضاء آنذاك والإدراك الواعي لبطون الأمور. لقد استيقظ الجميع على حقيقة كانت قد غابت "تشانجر" وتحديداً حينما تم الإعلان عن تفاصيل حادثة رحلة الفضاء عن الأذهان لفترة من الزمن، وهي أن مثل هذه الرحلات لا تزال جهداً جديداً يحتل من قاموا به مراكز ريادية خاصة وبأنهم ما زالوا قلة قليلة جداً.

أما من يصعد إلى الفضاء ويقدر الله له العودة سالماً إلى كوكب الأرض، فإن المكافأة التي يحصل عليها لا تتمثل في مجرد إسهامه فقط بإضافة معلومات جديدة أو اكتشاف جديد يفيد علوم الفضاء بها، بل إن المكافأة الحقيقية هي توصله إلى فهم عميق وإدراك واع لما يجري من حوله، وهذه هي الجائزة الكبرى التي يحصل عليها والتي من الواجب عليه أن ينقلها إلى العالم أجمع، خاصة إلى هؤلاء الذين لم يشاركوه غمار التجربة التي أقل ما يقال عنها إنها ثرية في كل جوانبها.

ومنذ بداية الاهتمام بعلوم الفضاء سواء من قبل الأفراد أو الحكومات، فإن هدفنا كرواد فضاء كان في بادئ الأمر منصباً على رؤية العالم من منظور لم يمكن لأي مصور فوتوغرافي أو برنامج تلفزيوني أن ينقله لنا بنفس المستوى وبنفس الأحاسيس التي عايشناها أثناء رحلاتنا. فالمنظر من الفضاء ثري وينبض بالحياة، ورؤيتنا لكوكبنا من أعلى مليئة بالحركة والنشاط فالجبال شامخة والمحيطات والبحار تغطي معظم كوكبنا والأراضي والصحاري الشاسعة تجذب الأنظار وتنقل إحساساً لا يمكن وصفه.

وعندما يأتي حديثنا عن رؤية الأرض من هذا المنظور الجديد، فإننا نعترف جميعاً كرواد فضاء أن أهم الأكلبر لنا في بادئ الأمر يتمثل في محاولة كل منا رؤية مدينته أو دولته. أما أبرز ما يجذب انتباهنا ويبهرننا كثيراً خاصة في اليوم الأول فهو أننا نرى الشمس تغرب وتشرق 16 مرة، ووقتها نهرع إلى النوافذ لنرى دول العالم المختلفة ونقارن ما نراه مع ما تعلمناه في فصول الجغرافيا على مدار السنين.

أما المرحلة التالية التي تأتي بشكل تلقائي وبدون سابق إنذار، فهي أننا نتحول إلى نظرة أقل ما يقال عنها إنها سحرية، ونستشعر إحساساً جديداً ينسينا ما كنا نعهده همنا الأكلبر في بادئ الأمر حين كنا نسعى لاكتشاف الحدود بين البلدان والأمم، إذ يتحول سريعاً منظور رؤيتنا إلى القارات والمحيطات الكبرى التي تبدو ذائبة في كيان واحد كبير يشع جمالاً وبريقاً. إننا لم نعد نبصر الأمور من منطلق "هذه مدينتي" أو "هذه بلدي"، بل إن شعوراً جديداً يسري فينا قلباً وقالباً بعد أن نعد أنفسنا جزءاً لا يتجزأ من هذا الكيان الكبير جداً...

في هذه اللحظة تحديداً فإن رائد الفضاء يكون قد حصل على حكمة بالغة يمكن أن تغير أسلوب حياته، بل إنها قادرة على التأثير على كل البشر وتعاملهم فيما بينهم لو أن البشر جميعاً استقوا رؤاهم من نفس هذا المصدر الذي لا ينضب لعم الخير الجميع.

إن الحكمة التي حصلت عليها في رحلتي إلى عالم الفضاء أكدت لي قناعاتي الداخلية بأننا جميعاً جزء من كيان كبير، وأن جل ما يتطلبه هذا الكيان هو أن نعمل معاً نحو فهم علاقتنا فيما بيننا أفراداً وأممياً بما يساعدنا على التركيز على العمل والاجتهاد لنجعل كوكبنا بحق مكاناً أفضل متناسين الفوارق والاختلافات ومودعين أية أسباب قد تدعو إلى الهدم أو الخراب؛ حينها سنكون بحق أمة متلاحمة يشد بعضها من أزر بعض.